الطائفية

دراسة في جذور الظاهرة وسبل الوقاية

د: عبد الحميد أحمد مرشد حمود

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد - أبها

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد: فهذا البحث الموسوم بـ(الطائفية قراءة في جذور الظاهرة وسبل الوقاية) تناول في ثناياه الطائفية من حيث: تعريفها وجذورها، ثم تحدث عن مخاطرها العقدية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والأمنية، ثم تحدث عن طرق الوقاية من الطائفية والدور المطلوب؛ سواء على مستوى المؤسسات الدينية، أو المؤسسات العلمية، أو المؤسسات الرسمية، مع تفصيل لدور كل مؤسسة وما ينبغي أن تقوم به في مواجهة الطائفية.

Research Summary

Praise be to God and prayer and peace be upon the Messenger of Allah

This research, marked by (sectarian reading in the roots of the phenomenon and ways of prevention) dealt with within the confessional in terms of: definition and roots, and then talked about the risks of nodal, social, moral, political and security, and then talked about ways to prevent sectarianism and the role required; both at the level of religious institutions, or Scientific institutions, or official institutions detailing the role of each institution and what it should do in the face of sectarianism.

The research ended with the most important findings and recommendations, the most prominent of which were:

1-Populist calls contributed negatively to the rise of sectarianism among Muslims.

2- Sectarianism has negatively affected the emergence of calls for atonement in society and the corruption of its social, moral, and political system.

Sectarians pose a threat to their communities and states no less than that of external adversaries.3-

Recommendations:

At the end of this research the researcher recommends the following:

First: The need for a code of ethics between communities in every country based on respect for religious and national sanctities and constants

Second, religious institutions must play a greater role in warning against sectarianism and enshrining the principle of preserving religious principles and values.

Third: The need to include in constitutions and regulations articles that criminalize sectarianism and enact deterrent penalties.

Fourth: The researcher recommends scientific institutions to hold international and local conferences on the dangers of sectarianism and ways to prevent them.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1) تنامي ظاهرة الطائفية في المجتمعات الإسلامية في ظل غياب آليات عملية لمواجهتها.

2) ضرورة تحصين المجتمعات المسلمة من مخاطر الطائفية.

3) الحفاظ على النسيج المجتمعي واللحمة الوطنية في ظل الشحن الطائفي

4) حماية عقيدة المجتمع من العبث الطائفي

أهداف البحث:

تتلخص أهداف البحث في الآتي:

أولاً: التعرف على الجذور العقدية والفكرية للطائفية .

ثانياً: التعرف على مخاطر الطائفية على الأفراد والمجتمعات.

ثالثاً: طرق الوقاية والتحصين من مخاطر الطائفية.

رابعاً: الحفاظ على وحدة الأمة وثوابتها

منهجية البحث:

سوف أعتمد في هذا البحث على المنهج الوصفي القائم على الملاحظة والتحليل، موظفاً المنهج الاستنباطي والاستقرائي، وفق الخطوات الآتية:

1) تخريج الآيات في صلب البحث بالرسم العثماني، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

2) تخريج الأحاديث، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما، اكتفيت به، وإن كان في غيرهما خرجته من مظانه مع بيان كلام أهل الفن في الحكم عليه.

3) نقل كلام أهل العلم من كتبهم دون واسطة، بذكر المؤلف أولاً، ثم اسم الكتاب، والمحقق(إن وجد)، ثم دار النشر، ورقم الطبعة وتاريخها، ثم رقم الجزء والصفحة.

4) الترجمة للأعلام غير المشهورين، ولمن لهم علاقة مباشرة بجوهر البحث.

5) التعريف بمصطلحات البحث، والكلمات الغريبة، والبلدان، والفرق.

6) عمل فهرس عام للبحث يشمل(المصادر والمراجع، والموضوعات).

مشكلة البحث:

ويمكننا تحديد مشكلة البحث في إجابته على التساؤلات الآتية:

1) ما هو التوصيف الدقيق لمسمى الطائفية؟.
2) ما هي مخاطر الطائفية على الأفراد والمجتمعات حكاماً ومحكومين؟
3) ما هي طرق وقاية المجتمع المسلم من مخاطر الطائفية؟.
4) ما هي الحلول العملية لمواجهة الطائفية في العالم الإسلامي؟

الدراسات السابقة: أهمُّها:

1) ضد الطائفية، لمحمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، طبعة أولى، 2009م.
2) المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، لبرهان غليون، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط2، 2012م.
3) الفتنة الطائفية (الجذور والواقع والمستقبل) لراغب السرجاني، أقلام للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011م.

وبعد مطالعة هذه الدراسات وجدت أن الدراستين الأولى والثانية تكاد تخلو من البعد العقدي لمناقشة قضية الطائفية، وركزت بدرجة رئيسة على الجانب السياسي للطائفية.

بينما ركزت الدراسة الثالثة على الطائفية في مصر، وأخذتْها من زاوية تختلف تماماً عن الزاوية الذي سنتناول فيها هذا الموضوع.

ولا شك أن الباحث سيستفيد من هذه الدراسات، وسيبدأ من حيث انتهى أصحابها، وسيسعى لإكمال ما نقص واستدراك ما فات؛ مع الاعتراف لهم بقصب السبق من حيث الجملة، والاستفادة مما طرحوه.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث، يحتوي كل مبحث على عدة مطالب، وفق الهيكلة الآتية:

المبحث الأول: تعريف الطائفية وجذورها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الطائفية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: جذور الطائفية.

المبحث الثاني: مخاطر الطائفية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المخاطر العقدية للطائفية.

المطلب الثاني: المخاطر الاجتماعية والأخلاقية للطائفية.

المطلب الثالث: المخاطر السياسية والأمنية للطائفية.

المبحث الثالث: طرق الوقاية من الطائفية، والدور المطلوب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور المؤسسات الدينية في الوقاية من الطائفية.

المطلب الثاني: دور المؤسسات الرسمية في الوقاية من الطائفية.

المطلب الثالث: دور المؤسسات العلمية في الوقاية من الطائفية.

الخاتمة:

وتحتوي على: أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول

تعريف الطائفية وجذورها

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الطائفية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: جذور الطائفية.

المطلب الأول

تعريف الطائفية لغة واصطلاحاً

قبل الحديث عن تفاصيل موضوع بحث (الطائفية) يحسن بنا أن نقف على تعريف الطائفية لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الطائفية في اللغة:

الطائفية في اللغة مشتقة من الطائفة، والطائفة هي الجماعة من الناس، وقيل: الطائفة دون الألْف[1].

وتطلق الطائفة على الجزء من الشيء، أو الواحدة فصاعداً[2] وتطلق على الرجل الواحد إلى الألف، وقيل الرجل الواحد فما فوقه، وقيل: أقل الطائفة رجلان، يقال طائفة من الناس و طائفة من الليل، والطوائف من القوس: ما اعوجَّ من رأسها، وجمعه طوائف، والمصدر منه: طاف يطوفُ طَوْفاً[3].

واسم الطائفة قد يقع على القليل وقد يقع على الكثير[4].

ثانياً: تعريف الطائفية في الاصطلاح:

الطائفة الجماعة والفرقة قال تعالى:﴿**وإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [الحجرات:9] وهم: الجماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به، والطائفية التعصب لطائفة معينة[5].

ويقال للفرقة بأنها: الطائفة من الناس[6] ولا تكاد العرب تحدُّها بعدد معلوم؛ إلا أن الفقهاء والمفسرين يقولون فيها مرة إنها أربعة فما فوقها، ومرة يقولون: إن الواحد

(1) ابن الجزري، أبو السعادات(النهاية في غريب الأثر)، 153/3.

(2) الزبيدي، محمد مرتضى(تاج العروس)، 104/24.

(3) ابن منظور، محمد(لسان العرب)، 226/9.

(4) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى(الكليات)، 685/1.

(5) الزيات: إبراهيم مصطفى وآخرون،(المعجم الوسيط)، 571/2.

(6) الزبيدي، محمد مرتضى(تاج العروس)، 290/26.

طائفة، ويقولون هي: الثلاثة، ولهم في ذلك كلام كثير، والطائفة من الناس: الفرقة والقطعة منهم[1].

قال مجاهد والحسن والشعبي: الطائفة: الرجل فما زاد. وقال عطاء: الطائفة: الرجلان فصاعداً. وقال مالك: الطائفة: أربعة[2].

من التعريفات السابقة لمصطلح(الطائفة) يمكن أن نصوغ تعريفاً موجزاً للطائفة ومنه نشتق مصطلح الطائفية.

فالطائفة هي: الجماعة من الناس تجمعها عقائد مشتركة، سواء كانت عقائد صحيحة أم فاسدة. أو هي: كيان اجتماعي ذو أساس ديني أو عقائدي[3].

تعريف الطائفية:

مصطلح الطائفية مصطلح جديد، لم يظهر في المعاجم القديمة، وهو: اسم مؤنَّث منسوب إلى طائِفة، يقال: "فتنة طائفيّة"، وقيل: وهو مصدر صناعيّ من طائِفة، ويعني: التعصُّب لطائفة أو جماعةٍ ذات مذهب معيّن، وقيل: الطائفية وضع اجتماعيّ وسياسيّ قائم على التركيب الطائفيّ، وقيل في تعريفها أيضاً: إنها الانتماء لطائفة واعتناق عقائدها، والتعصب لها بالحق والباطل[4].

ومن لوازمه: التشدد في الانتماء، والتعصب له، والانحياز للطائفة في الحق والباطل[5].

---

(1) ابن فارس: أبي الحسين أحمد،(مقاييس اللغة)، 432/3.

(2) ابن فارس: أبي الحسين أحمد،(مقاييس اللغة)، 432/3.

(3) الحميري، نشوان بن سعيد، (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م، 4182/7.

(4) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، (معجم اللغة العربية المعاصر)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م، 1423/3.

(5) تقي الدين، سليمان،(الطائفية والمذهبية وآثارهما السياسية)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أكتوبر، 2013م، ص 60.

وهناك فرق بين الطائفية والمذهبية، فالمذهبية هي: التدين بأحد المذاهب الإسلامية المشهورة(الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي).

وبمعنى آخر فإن الطائفية مدار الحديث عنها في العقائد أو ما يسمى بأصول الدين، أما المذهبية فمدار الحديث عنها في الأحكام أو الفروع أو ما يعرف بالفقه، وقد يجتمعان في وصف العصبية، فقد تكون العصبية طائفية أو مذهبية، وكلاهما مذموم شرعاً كما سيأتي معنا.

المطلب الثاني

جذور الطائفية

إن المتتبع لتاريخ الطائفية وعوامل نشأتها يجد أن جذورها قديمة قدم البشرية، وهي تقوم في أساسها على تبني نزعات عنصرية تقوم بتفضيل جنس على جنس أو عنصر على عنصر أو طائفة على طائفة.

لكن الذي يعنينا هو جذور الطائفية في العالم الإسلامي وأسباب نشأتها.

ويمكن إيجاز جذور الطائفية وأسباب نشأتها في الآتي:

1) النزعات الشعوبية:

الشعوبية جمع شعوبي، وهم: المحتقرون لأمر العرب(1)، وهي نزعة ظهرت في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحط منهم(2).

ويقال لهم: "الشعوبية"؛ لانتصارهم للشعوب من غير العرب، والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق؛ إما في الاعتقاد وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس، مع شبهات اقتضت ذلك؛ وهذا محرم فإن الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعاً، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، وأمر بإصلاح ذات البين وقال النبي صلى الله عليه وسلم:«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد

---

(1) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (القاموس المحيط)، ص 130.

(2) الزبيدي، محمد مرتضى، (القاموس المحيط)، 144/3.

الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[1] وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً»[2] كما أمركم الله وهذان حديثان صحيحان وفي الباب من نصوص الكتاب والسنة مالا يحصى[3].

إن نفَسَ الشعوبية الذي ظهر بين المسلمين بعد مضي القرون المفضلة كان له عظيم الأثر في ظهور الفرق الإسلامية المتصارعة، وقد انعكس ذلك من خلال المسائل العقدية التي اختلفت فيها الفرق الإسلامية كمسألة حصر الإمامة في فصيل بعينه، وادعاء النص على سلالة بعينها، فتارة يفضلون الأمويين على العباسيين، وتارة يفضلون العباسيين على العلويين، وتارة يفضلون العلويين على من سواهم، ثم يسري الخلاف داخل الفصيل الواحد، وكل هذه النزعات مصدرها دعاة الشعوبية من الفرس وغيرهم، ممن تظاهر بالإسلام، ثم سعى ليهدمه من الداخل، وقد ترتب على هذه الدعوات الشعوبية مسائل مثل: الطعن واللعن والتضليل والتفسيق والتبديع والتكفير، ما لا يخفى على عاقل ضرره ، وقد كان للشعوبية عظيم الأثر في ظهور تلك العقائد التي مزقت الأمة وفرقت بنيانها.

وقد استغلت الفرقُ الباطنية الشعوبيةَ للترويج لعقائدها[4]؛ الأمر الذي عزز من ظهور الطائفية في المجتمع المسلم وانتشار أفكار الغلاة من خلال الشعوبية، وحاولت تشويه جمال الإسلام من خلال دعاوى كاذبة تدعو إلى تفضيل عنصر على آخر، أو

---

(1) أخرجه القشيري، مسلم بن الحجاج، في صحيحه،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، باب: تراحم المؤمنين وتعاضدهم وتعاطفهم، برقم(2585)، 1999/4.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، برقم(2563)، 1986/4.

(3) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، (اقتضاء الصراط المستقيم)، 149/1.

(4) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر،(الفرق بين الفرق)، دار الآفاق، بيروت، ط2، 1977م، ص 285.

نسب على آخر، أو سلالة على غيرها، وهذا بدوره ساهم في تشكل طوائف تقوم على ادعاء الأفضلية؛ سواء النسبة أو المذهبية الطائفية.

فالشعوبية أوردوا شبهات كثيرة على العرب وعلى قريش وأجاب عنها العلماء، ولكل قوم محامد ومساوئ ودين الله فوق كل شيء[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "تفضيل الجملة على الجملة لا يقتضي تفضيل كل فرد على كل فرد كما أن تفضيل القرن الأول على الثاني والثاني على الثالث لا يقتضي ذلك بل في القرن الثالث من هو خير من كثير من القرن الثاني"[2].

وذلك أن الفرس والروم عندما عجزوا عن الانتصار على الإسلام في معركة السيف والقيم، حاربوه من خلال صناعة النزعات الشعوبية

2) الصراع السياسي:

ومن أبرز جذور الطائفية وأسباب ظهورها: ما جرى بين المسلمين من صراعات سياسية أدت إلى ظهور الفرق.

يقول الشهرستاني: "أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذْ ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان"[3].

ولقوة تأثير الجانب السياسي على قضية الطائفية نجد بعض الكُتَّاب عندما يتحدثون عن الطائفية يرجعونها إلى الأسباب السياسية وحدها فيعتقدون أن الطائفية هي مجرد إخضاع الدين للمصالح السياسية[4]، بينما يعتقد بعض الباحثين أن للطائفية

---

(1) رضا، محمد رشيد، (الخلافة)، ص 32.

(2) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، (منهاج السنة)، 600/4.

(3) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (الملل والنحل)، 24/1.

(4) غليون، برهان(المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات)، المركز العربي للأبحاث والمشكلات السياسية، ط4، 2013م، ص39، والربيعي، فاضل، و كوثراني، وجيه، (الطائفية والحرب)، دار الفكر، دمشق، 2011م، ص 21، وما بعدها، وعطية، نيبال عز الدين جميل ،(العوامل الداخلية والخارجية المسببة للصراع الطائفي)، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، جامعة قناة السويس، كلية التجارة، المجلد(7)، العدد (2)، 2016م، ص 389.

نتائج سياسية، وجذورها تاريخية[1]؛ بل ويبالغ البعض فيرى في الطائفية أنها ظاهرة سياسية صرفة[2].

وإن كنت لا أتفق مع أصحاب هذا التوجه الذي يفسر قضية الطائفية تفسيراً سياسياً صرفاً، إلا أننا لا نستطيع إغفال الصراع السياسي وأثره في ظهور الطائفية في العالم الإسلامي عبر التاريخ.

ففي ظل التوظيف السياسي للطائفية نجد الحاكم ومعارضيه يستخدمون الطائفية وسيلة من وسائل تثبيت الحكم، والتخلص من المخالفين، وأحياناً يأخذ الصراع السياسي بعداً طائفياً قد يصل إلى تقاسم صلاحيات الخلافة والحكم والسلطة تحت مظلة الطائفية[3].

والتوسط في الأمر أن الطائفية كانت سابقة في جذورها التاريخية وأن التسييس للطائفية ظاهرة جديدة وطارئة[4].

والمتتبع للتاريخ يجد أن الحاكم عبر التاريخ الإسلامي استقوى بالطائفة واستقوت به، وحصل ما يمكن تسميته بـ (حلف المصالح المشتركة) بين الحاكم والطائفة، بحيث يسلم الحاكم الصلاحيات الدينية للطائفة مقابل تمكينه من السلطات السياسية.

فعلى سبيل المثال: تنامى مذهب الاعتزال على يد المأمون العباسي حتى فرضه على الناس بقوة السلطة، وحدثت فتنة القول بخلق القرآن وأهين في ذلك رجال

---

(1) تقي الدين، سليمان،(الطائفية والمذهبية وآثارهما السياسية)، ص59.

(2) سعيد، حيدر،(الطائفية السياسية في العراق إنكاراً واعترافاً)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سبتمبر، 2014م، ص 3.

(3) البدري، مروة حامد، الطائفية(بناء أم تكوين مجتمعي، دراسة نظرية لمفهوم بناء الطائفية أو اختراعها في الأدبيات الغربية والعربية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عمان، سبتمبر، 2014م، ص 179.

(4) عبد الجبار، فالح،(المشكلة الطائفية في الوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أكتوبر، 2013م، ص 33.

من أهل العلم والتقوى وسفكت فيه دماء بغير حق وهكذا تعدى القوم حدود الدين باسم الدين[1].

وعندما جاء العبيديون وظفوا طوائف الباطنية لتكريس نفوذهم السياسي[2]، ثم جاء بعدهم المماليك وانتصروا لطائفة الأشاعرة[3]، وكذلك عندما حكم الصليحيون اليمن وقد كانوا – قبل ذلك – على المذهب الشافعي، فتركوه واعتنقوا مذهب العبيديين بسبب نفوذهم السياسي الطاغي على كثير من بلدان العالم الإسلامي إبان حكم المستنصر العبيدي، وقطعوا الخطبة لبني العباس[4]، وهكذا تسلق كل حاكم على أكتاف طائفة متظاهراً بنصرة مذهبهم والدفاع عنه، وحصر الحق المطلق عليه.

كما تبنت دولة المرابطين مذهب السلف وتولى ذلك الفقيه عبد الله بن ياسين المرابطي المغربي(ت:451هـ) [5]، الذي كان على مذهب السلف[6].

ولما كان أبو عبد الله محمد بن التومرت(ت:524هـ) [7] على مذهب المعتزلة في نفي الصفات لقب أصحابه بالموحدين وقد صرح في كتابه الكبير بنفي الصفات[8]،

---

(1) محمد عبده، (رسالة التوحيد)، ص 10، بتصرف يسير.

(2) ابن حماد، محمد بن علي، (أخبار بني عبيد)، ص 50، وما بعدها.

(3) علال، خالد كبير، (الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين)، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1426هـ، – 2005م، ص 209.

(4) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (البداية والنهاية)، 67/12.

(5) هو: عبد الله بن ياسين الجزلي، أحد زعماء دولة المرابطين، عرف بالورع والدين والصلاح، توفي عام 451هـ.[الناصري، أبو العباس، أحمد بن خالد، (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى)، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ – 1997م، 19/2].

(6) الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري(الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ – 1997م، 19/2.

(7) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي الحسني، صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي بن تومرت، ولد عام 473هـ، وأظهر أمره عام 515هـ، وتوفي عام 524هـ.[ابن الأثير، علي بن محمد،(الكامل في التاريخ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ، 201/9].

(8) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (العقيدة الأصفهانية)، ص 41.

حيث دعا الناس إلى أقواله بالسيف واستحل دماء من خالفه فيما ذكره من التوحيد وإمامته وغير ذلك وكأصول التوحيد الذي هو توحيد الجهمية نفاة الصفات[1]، وقد تمادى ذلك التوظيف السياسي للعقائد الطائفية من خلال ادعاء بن تومرت أنه من سلالة الحسن بن علي وأنه المهدي[2] وأثارت دعوته خلافات عقدية كثيرة نتج عنها اقتتال واحتراب واتخذت من التبديع والتفسيق التكفير ذريعة لتحريض الناس على قتال المرابطين بعد تكفيرهم[3].

وعندما ظهرت دولة السلاجقة تبنت عقيدة الأشاعرة ونصر نظام الملك السلجوقي(ت: 485هـ) مذهب الأشاعرة ونشر التصوف، وبنى المدارس النظامية[4] التي تقوم على عقيدة الأشاعرة[5]، واعتنق الأيوبيون مذهب الأشاعرة أيضاً، وبنوا لها المدارس وأوقفوا عليها الأوقاف[6].

وهكذا كان الحاكم الجديد يرفع المحنة عن الطائفة المستضعفة ويستقوي بها مقابل الترويج لمذهبها العقدي؛ الأمر الذي أدى إلى بروز الصراع بين الطوائف في كثير من مسائل الاعتقاد، وترتب عليه تكفير بعضهم لبعض وبغي بعضهم على بعض.

إن المشكلة لا تكمن في وجود الطوائف في أي مجتمع بوصفها جماعات بشرية تشكلت عبر التاريخ –بغض النظر عن سلامة عقائدها من عدمها– بقدر ما تكمن في الصراع السياسي الطائفي، الذي يجعل من ذلك التنوع في طوائف المجتمع

---

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (درء التعارض)، 298/10.

(2) الذهبي، محمد بن عثمان (المنتقى من منهاج الاعتدال)، ص 534.

(3) بوذياب، عبد الصمد، (النظر المقاصدي وأثره في تدبير الاختلاف العقدي)، تقديم: محمد التمسماني، ومحمد سليم العوا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص78.

(4) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (البداية والنهاية)، 140/12.

(5) الذهبي، محمد بن عثمان(سير أعلام النبلاء) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ، 96/19.

(6) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية)، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، 390/3.

بؤراً للصراع والتناقض، رغم أنه في الجانب السياسي يمكن أن يكون والإقرار بهذا التنوع عامل إثراء وتنافس على خدمة المجتمع بعيداً عن الخلاف العقدي[1].

وهذا التنوع لا يعني بالضرورة غض الطرف عن الخلاف العقدي، أو ترك التحقيق العلمي والبحث عن الطائفة المنصورة وتحري آراءها العقدية ومنهجها وفق ما جاء في النصوص من مواصفات وخصال تحدد معالم منهجها.

والعجيب في الأمر أن كثيراً من دعاة الطائفية ليسوا من المتدينين في الطوائف بل هم من الساسة؛ الأمر الذي يعزز ما يسمى بالتوظيف السياسي للطائفية لتحقيق مصالح سياسية شخصية أو حزبية.

3) ظهور الفرق الكلامية:

وقد أدى ظهور الفرق الكلامية في المجتمع الإسلامي إلى تنامي الصراع العقدي بين تلك الفرق، والتي كان من أسباب ظهورها: اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم والشعوب، وتنامي حركة الترجمة لكتب اليونان، وظهور علم الكلام في المجتمع المسلم؛ كل ذلك ساهم في بروز الخلاف العقدي الذي أثَّر سلباً في موقف كل طائفة من الأخرى بغض النظر عن قرب وبعد هذه الطائفة أو تلك من الأخرى.

ومع تنامي الخلاف العقدي بين تلك الفرق وتكفير بعضها لبعض أحياناً، وتفسيق بعضها لبعض أحياناً أخرى ساهم ذلك في توظيف هذا الخلاف العقدي عند بعض الخلفاء على نحو ما أشرنا إليه في السبب الثاني، وأصبحت الفرق والطوائف تستقوي بالحاكم الذي يتبنى آراءها العقدية، وينشر مذهبها في أوساط الناس أو يعتمده مذهباً عقدياً رسمياً لنظام حكمه.

المبحث الثاني
مخاطر الطائفية
وفيه ثلاثة مطالب

---

(1) كيالي، ماجد، (الصراعات الطائفية: مصادرها وأبعادها ومصائرها)، مجلة شئون عربية، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، العدد(153)، 2013م، ص70، بتصرف.

المطلب الأول: المخاطر العقدية للطائفية

المطلب الثاني: المخاطر الاجتماعية والأخلاقية للطائفية

المطلب الثالث: المخاطر السياسية والأمنية للطائفية

المطلب الأول

المخاطر العقدية للطائفية

لا يخفى على عاقل ما تشكله الطائفية من مخاطر على الفرد والمجتمع والأمة المسلمة، وإذا أردنا الوقوف على تلك المخاطر المتنوعة، فإننا نجدها على كافة المستويات والأصعدة، فمن تلك المخاطر ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالجانب الاجتماعي والأخلاقي، ومنه ما يتعلق بالجانب السياسي والأمني.

ومن أبرز المخاطر العقدية التي تسببها الطائفية: فتنة التكفير، والتكفير المضاد؛ ذلك أنه إذا حلَّت الطائفية في قوم فإن دعاتها يسعون إلى فرض مذهبهم العقدي على كل فئات المجتمع؛ ولأجل تحقيق تلك الغاية يقومون بتكفير مخالفيهم، ولو لم يصدر منهم ما يوجب ذلك، والشواهد التاريخية خير دليل.

فما خرجت الخوارج إلا بعد أن كفَّرت خيار الصحابة رضوان الله عليهم[1]، وما تمكنت المعتزلة حتى حكمت بالكفر على من خالفها في بعض المسائل الكلامية[2]، وما رفضت الروافض إلا بعد أنْ كفَّرت كل من خالفها ولو كان شيعياً[3]، وكذلك غلاة الفرق والطوائف الأخرى مارست منهج التكفير لفرض مذهبها العقدي على الناس.

---

(1) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، (الفرق بين الفرق)، ص 55.

(2) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله، (شرح المقاصد في علم الكلام)، دار المعارف العثمانية، باكستان، ط1، 1401هـ - 1981م، 2/269.

(3) الشافعي، عبد الملك بن عبد الرحمن، (الفكر التكفيري عند الشيعة - حقيقة أم افتراء-؟)، تقديم: محمد عبد المنعم البري، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، ط1، 1427هـ - 2006م، ص19، وما بعدها.

ومن المخاطر العقدية للطائفية: ما ترتب على سلوك منهج التكفير للمخالف من استحلال الدماء والأموال والأعراض لمن صدر في حقه التكفير، وترتب على ذلك مفاسد عظيمة، ونُكِئَتْ جروح في جسد الأمة لم تندمل إلى يوم الناس هذا.

ومن المخاطر العقدية للطائفية: اعتقاد أتباع الطوائف امتلاكهم للحق الحصري، وقصر مفهوم الفرقة الناجية على مذهبهم، مستشهدين بحديث افتراق الأمة، فعلى سبيل المثال: نجد عموم فرق الشيعة تورد حديث الافتراق ثم تختمه بالقطع بحصر مفهوم الفرقة الناجية على طائفتهم، والجزم بضلال أو كفر الفرق المخالفة لهم ولو كانت على مذهب التشيع، وكذلك الإباضية يمارسون ذات المنهج في إسقاط مفهوم الفرقة الناجية عليهم، وإخراج المخالفين لهم(1).

ومن مخاطرها العقدية أيضاً: ادعاء الحق الحصري لدى الطائفة، وحصر الصواب في رأيها وتسفيه المخالف ولو كان الحق مع المخالف.

المطلب الثاني: المخاطر الاجتماعية والأخلاقية للطائفية

وفي الجانب الاجتماعي أثرت الطائفية سلباً في التفريق بين أبناء الأمة الواحدة؛ خلافاً لمقصد جمع الكلمة وتوحيد الصفوف واجتماع القلوب الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[آل عمران: 103].

وهذا بدوره أحدث قطيعة في المجتمعات؛ بل وربما تجد القطيعة في المجتمع الواحد؛ بل تعدت القطيعة والخصومة والفرقة إلى الأسرة الواحدة؛ حتى أصبحت ترى الأخوين كل منهما ينتمي إلى طائفة، وخير مثال على ذلك ما أفرزته الطائفية في بلاد اليمن قديماً وحديثاً.

---

(1) جيدل، عمار عبد السلام،(الطائفية والانتماء إلى الأمة)، المؤتمر العلمي الدولي: فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والجامعة الأردنية، 2011م، ص20، وما بعدها بتصرف.

فعلى سبيل المثال: وجدنا ابن الوزير اليمني على مدرسة السلف من أهل الحديث، وكان أخوه وشيوخه من متعصبة الزيدية، وجرت بينه وبينهم مناظرات ونقاشات في كتابه العواصم والقواصم، وبغوا عليه في الخلاف وضيقوا عليه أشد المضايقات[1].

وحيث ظهرت الطائفية تفشى خطاب الكراهية، واستجلبت الثارات التاريخية المغلوطة، وتحولت الطائفية إلى شكل من أشكال العنصرية أفرزت حملات من التكفير الممنهج والاستخفاف بدماء المخالفين؛ وهذا بدوره ساهم في تمزيق المجتمعات المسلمة[2].

كما أثرت الطائفية سلباً في الجانب الاجتماعي من خلال: فرز المجتمعات إلى طبقات وأُسر، وإلى سادة وعبيد، وبات التمييز العنصري شعاراً لبعض الفرق، وصل بهم الحال إلى الإفتاء بحرمة زواج الهاشميات من غير الهاشميين[3] كما هو الحال عند طوائف الزيدية في اليمن، وهي بدعة عقدية خالف فيها الطائفيون منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إرساء أسس الأسرة المسلمة، وضوابط الزواج الشرعية.

---

(1) الشوكاني، محمد بن علي، (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، دار المعرفة، بيروت، 90/2، وما بعدها.

(2) عبد العال، أحمد علي(التعصب والطائفية(2))، صوت الأمة، الجامعة السلفية، دار التأليف والترجمة، يونيو، 2014م، مجلد 46، العدد 6، ص 9.

(3) الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن الأمير، (سبل السلام)، دار الحديث، 189/2، والمقبلي اليمني، صالح بن المهدي بن علي، (العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ وزوائده: الأرواح النوافح)، اعتنى به: وليد عبد الرحمن الربيعي، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، ط1 المحققة، 1430هـ - 2009م، ص 543.

ووصل الحال في فساد المجتمعات الطائفية إلى أبعد من ذلك حيث قامت الطوائف الغالبة بقوة السلاح بتهجير أتباع الطوائف الأخرى من بلدانهم، وسلب ممتلكاتهم، واستحلال أموالهم وأعراضهم، بعد سفك دمائهم[1].

وكذلك ساهمت الطائفية سلباً في فساد أخلاق المجتمعات حيث أفسدت الأخلاق عن طريق بعض الممارسات غير الأخلاقية التي تستخدمها بعض الطوائف في الترويج لعقائدها الطائفية؛ الأمر الذي يستهوي ضعاف النفوس والمراهقين إلى الانتماء لتلك الطوائف بحثاً عن الشهوات كالمتعة التي تستخدمها الرافضة لجذب الأتباع، وتحقق من ورائها كسباً طائفياً رخيصاً أساسه الهوى والشهوات، وكذلك الإباحية التي كانت تمارسها الفرق الباطنية لجلب الأتباع ابتداءً، ومن ثم اختبار ولائهم الطائفي من خلال ممارستها[2].

ولم تبعد التيارات الطائفية المعاصرة اليوم عما كان يفعله سلفهم قديماً؛ حيث سهلت الجريمة لأتباعها، وروَّجت للمحرمات والممنوعات من المخدرات والفساد الأخلاقي كوسيلة من وسائل التأثير على المجتمعات.

وباختصار فإن الآلة الطائفية تعمل دائماً على تلوين تفاصيل الحياة الاجتماعية بالصبغة الطائفية؛ لتزييف الواقع الاجتماعي، وشل القوى الاجتماعية وتعطيلها؛ خاصة تلك التي تسير في اتجاه غير اتجاهه وتؤمن بمقولات غير مقولاته، تمارس الإقصاء فلا تعترف إلا بالطائفة انتماءً حصرياً يلغي باقي الانتماءات الاجتماعية ويتضخم الانتماء الطائفي على حساب الرابطة المجتمعية، بحيث يصبح

---

(1) السرحان، جهاد(الصراع الأمريكي – الإيراني حول العراق وأثره على الاستقرار السياسي في الوطن العربي(2001– 2008م))، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، معهد بيت الحكمة، قسم العلوم السياسية، الأردن، ص98، بتصرف.

(2) راجع: الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، (فضائح الباطنية) تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة الكتب الثقافية، الكويت، ص23، والمعافري الحمادي، أبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل، (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1415هـ – 1994م، ص 100، وما بعدها.

الولاء للطائفة هو رأس المال الاجتماعي الأكبر الذي يعقد عليه الولاء والبراء، وتقوم عليه كافة العلاقات والروابط الاجتماعية[1].

وباختصار أصبحت الطائفية عبارة عن إفراز للتخلف الحضاري في المجتمع المسلم[2]، وخشبة صلب تمزقت عليها كثير من الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع المسلم.

المطلب الثالث: المخاطر السياسية والأمنية للطائفية

وفي الجانب السياسي والأمني أثرت الطائفية سلباً في إرساء نظام المحاصصات الطائفية في تقسيم شئون الحكم بعيداً عن معايير الكفاءة والنزاهة ورضا الأمة[3]، وفي كثير من الأحيان أدت الطائفية إلى الاستئثار بالمكاسب والمناصب[4].

كما ساهمت في إذكاء الصراع السياسي والتنافس الحزبي المحموم والمصحوب بسيل من وسائل التمزيق والتفرقة للأمة، ابتداءً بالتراشقات السياسية، والتباينات في الموقف من القضايا العامة للأمة، وانتهاء بقضايا الاغتيال السياسي والتفجيرات وأعمال العنف التي غالباً ما تستند إلى فتاوى طائفية لا تنبني على علم، ولا تقوم على دليل.

ومن المخاطر الأمنية للطائفية نشوء فرق الموت والمليشيات المسلحة خارج نطاق القانون، فعلى سبيل المثال: يوجد في العراق وحدها ما يزيد على (56) مليشيا، لا يحكمها قانون، ولا يقيدها أمر، ترفع الأعلام الطائفية، وتمارس التهجير والتفجير

(1) خرشي، زين الدين،(آلية إنتاج النظام الطائفي)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عمان، سبتمبر، 2014م، ص 15

(2) آذرشب، محمد علي، (الحالة الحضارية والطائفة)، مجلة أمة الإسلام العلمية، شركة دار كاهل للدراسات والطباعة والنشر، العدد(5)، 2010م، ص13.

(3) محمد أحمد، مريم سلطان، (العصبية عند ابن خلدون والطائفية في لبنان)، شئون اجتماعية، المجلد(3)، العدد(10)، جمعية الاجتماعيين، أغسطس، 1986م، ص 13، عطية، نيبال عز الدين جميل،(العوامل الداخلية والخارجية المسببة للصراع الطائفي)، ص 398.

(4) الكيلاني، عبد الله إبراهيم زيد، (الطائفة وسبل مواجهتها)، إسلامية المعرفة، المجلد(23)، العدد(88)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2017م، ص22.

والقتل والتدمير، كل ذلك بدوافع طائفية وتحت مبررات واهية[1] وبسبب الطائفية في العراق تحولت العراق إلى غابة من المليشيات العسكرية والعصابات المختلفة[2].

ومن المخاطر السياسية للطائفية: أن معتنقي الطائفية يشكلون دولة منفصلة انفصالاً شعورياً عن الدولة التي يعيشون فيها؛ وينتمون إلى هويات خارجية أخرى، ولا يتعدى الانتماء للوطن الذي يعيشون على ترابه مجرد هوية ورقية ينتظر أصحابها الفرصة السانحة لتمزيق وطنهم وتنفيذ الولاء للطائفة بدلاً من الولاء للوطن.

المبحث الثالث

طرق الوقاية من الطائفية، والدور المطلوب

وفيه

ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور المؤسسات الدينية في الوقاية من الطائفية.

المطلب الثاني: دور المؤسسات العلمية في الوقاية من الطائفية.

المطلب الثالث: دور المؤسسات الرسمية في الوقاية من الطائفية.

المطلب الأول

دور المؤسسات الدينية في الوقاية من الطائفية

المؤسسات الدينية في أي بلد تعتبر من أهم الروافد التي تشكل العقلية العقدية لأبناء المجتمع، وترسم لهم خطوط تدينهم وفق منهجيتها في الفتوى وصناعة الخطاب الديني، وصياغة مناهج التعليم في مختلف مستوياتها.

ونعني بالمؤسسات الدينية: جهات الفتوى من هيئات ولجان ومجامع، وكذلك أئمة المساجد وجمعيات الخطباء، والجمعيات الدعوية، والمؤسسات الفكرية، وغيرها؛

---

(1) لمزيد من التفاصيل، راجع: المندلاوي، أنس(البعد الطائفي لانتهاك الحكومات العراقية)، مجلة البيان، العدد(345)، ص 29.

(2) العنزي، سعاد فرحان، (التحولات في السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر والاستقرار السياسي في الشرق الأوسط(2001– 2006م)) رسالة ماجستير في العلوم السياسية، معهد بيت الحكمة، جامعة آل البيت، عمان، 2007م، ص 63.

ونظراً لما تضطلع به المؤسسات الدينية من دور فلا بدَّ أن تسهم في مواجهة فتنة الطائفية التي ابتليت بها الأمة منذ زمن بعيد؛ ورغم ما تقوم به هذه المؤسسات من جهود في بناء العقل المسلم فلا بدَّ أن تسهم أيضاً في وقايته من المخاطر العقدية والفكرية ومنها: مخاطر الفتن الطائفية، وإن كانت تلك الجهود التي بذلت أو يمكن أن تبذل– مهما بلغت قوتها – إلا أنها ليست كفيلة بالقضاء على الطائفية، وإنما ستحد من غلوائها وغلوها وعصبيتها، وستقلل من مخاطرها، وهذا ما نعنيه هنا.

ولعل أهم الواجبات الملقاة على عاتق المؤسسات الدينية ما يلي:

1) التحذير من الفرقة وبيان مخاطرها للأمة من خلال: الفتاوى، والمؤتمرات العلمية، والمؤلفات، والبحوث والدراسات.

"وإحياء ثقافة الوحدة التي يشترك في تمكينها من ضمير الأمة كل أفراد المجتمع من القيادات الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية"[(1)].

2) الحفاظ على الثوابت العقدية وعدم قبول المساس بها، وتكريس مكانتها وقدسيتها في أوساط الأمة، كترسيخ مكانة القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيان خطر المساس بقدسيتهما، أو التشكيك والطعن فيهما؛ وكذلك قضية الصحابة رضوان الله عليهم من خلال: بيان مكانتهم، ودورهم في حماية الإسلام، ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان حكم الشرع في الطعن فيهم، أو تكفيرهم، أو سبهم وانتقاصهم.

3) إحياء مبدأ أدب الخلاف في أوساط دعاة الطائفية، وتعميق أصول الحوار، والإقرار بأهميتهما، وضرورة امتلاك أَدواتهما[(2)].

4) إحياء مبدأ التعايش والائتلاف بين الطوائف، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بالتساكن والتآلف بين أفراد المجتمع الواحد[(1)] وقد نبه القرآن الكريم على

---

(1) جيدل، عمار عبد السلام،(الطائفية والانتماء إلى الأمة)، ص 32.

(2) الأثري، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، (الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ، 219/2.

الخلل الذي يصيب الأمم حين تدمر الألفة الجامعة، وضرب لذلك مثلاً في فرعون الذي جعل بني إسرائيل شيعاً متقاتلين، فأخل بنظام التعايش والائتلاف في المجتمع[2] قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[القصص: 40].

5) إحياء رسالة المسجد وتوظيف الخطاب الديني للتوعية بمخاطر الطائفية على الفرد والمجتمع.
6) إبعاد رموز الطائفية عن منابر التوجيه لأنهم معول هدم في الأمة.

المطلب الثاني

دور المؤسسات العلمية في الوقاية من الطائفية

والمقصود بالمؤسسات العلمية: وزارات التربية والتعليم، والجامعات الحكومية والأهلية، والمؤسسات العلمية: كالمعاهد الدينية، والمراكز الشرعية، ودور القرآن الكريم، ومؤسسات البحث العلمي، وغيرها من المؤسسات التي تأخذ طابعاً علمياً في مجال اهتمامها وتخصصها.

وإذا أردنا الحديث عن دور المؤسسات العلمية في الوقاية من فتنة الطائفية فيمكن إيجازه في الآتي:

1) وضع مناهج دراسية في كل مراحل التعليم الأساسي والثانوي لتكريس الثوابت الدينية، وأبرزها: الحفاظ على مكانة الكتاب والسنة في نفوس الناشئة، وبيان مكانة الصحابة وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين.
2) مراعاة مناهج الثانوية لموضوعات دراسية تتحدث عن الطائفية ومخاطرها وطرق مواجهتها وبيان جنايتها على الأمة عبر التاريخ إلى وقتنا الحاضر.

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن، (مقدمة ابن خلدون)، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001م، ص67.

(2) الكيلاني، عبد الله إبراهيم(الطائفية وسبل مواجهتها)، ص28.

3) استيعاب مناهج الجامعات الحكومية والأهلية لاستعراض شبهات الفرق الضالة فيما يتعلق بالثوابت المشار إليها سابقاً، والرد عليها وفق منهج علمي رصين.

4) ضرورة قيام المدارس الشرعية التقليدية بمختلف صورها ومسمياتها بتوعية طلابها بأدب الخلاف وأنواعه، وتدريبهم على أفضل الطرق العلمية والمناهج الجدلية في مواجهة فتنة الطائفية.

5) منع قيام أي مؤسسة علمية على أساس طائفي؛ لأن المناهج الطائفية تعمق الولاء للطائفة بدلاً عن الولاء للدين والوطن والثوابت[1].

6) وضع ميثاق شرف بين الطوائف يهدف إلى عدم البغي على المخالف قولاً وعملاً.

7) تركيز المناهج السابقة الذكر على البعد الحضاري الذي يمكن أن يقوم به التنوع، والابتعاد عن اجترار الصراع التاريخي الذي يؤجج الأحقاد وينشر الضغينة ويوسع الهوة بين أبناء الأمة الإسلامية.

8) عقد المؤتمرات العلمية، والندوات الفكرية، والمحاضرات الشهرية والأسبوعية للتحذير من الطائفية والتوعية بمخاطرها، وما جنته على الأمة عبر التاريخ.

المطلب الثالث

دور المؤسسات الرسمية في الوقاية من الطائفية

وانطلاقاً من قول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[2] فإن المؤسسات الرسمية لا بدَّ أن تقوم بدورها في الوقاية من الطائفية حتى تستقر المجتمعات، وتسود السكينة، ويأمن الناس على دينهم وأعراضهم وأموالهم، ومن تلك الأدوار المناطة بالمؤسسات الرسمية:

---

(1) محمد، مريم سلطان أحمد، (العصبية عند ابن خلدون والطائفية في لبنان)، ص 10.

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي(البداية والنهاية)، مكتبة المعارف، بيروت، 10/2.

1) تجريم الدساتير والأنظمة للطائفية بمختلف صورها وأشكالها وفرض عقوبات محددة على من يمارس الخطاب الطائفي.
2) الحفاظ على الثوابت الدينية والوطنية وحمايتها من الانزلاق في وحل الطائفية.
3) حضر الأحزاب السياسية التي تقوم على أساس طائفي.
4) تحرير الوظيفة العامة من المحاصصات الطائفية، وتفعيل مبدأ الكفاءة والنزاهة القائم على قول الله تعالى:﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾[القصص: 26].
5) الحفاظ على الأمن العام: حيث أن فقدان الأمن مما يولد التعصب، ويلحق الطوائف كثيرٌ من العدوان والبغي، ويشيع لديها الشعور بافتقاد الأمن الجماعي[1].
6) احترام الأقليات الطائفية لقوانين البلد، ولرأي الأغلبية الطائفية، وعدم الارتهان للخارج للاستقواء على الدولة أو على الخصوم الطائفيين[2]، مع الحفاظ على حقوق كل طائفة واحترام خصوصيتها.

ذلك أن إنكار حق الوجود لطائفة بعينها لا يعني عدم وجودها؛ وإنما يحول ذلك الإنكار إلى قوة اضطراب وعنصر اهتزاز وعصبية متشنجة أول ما تصيب بالضرر الجاحدين لها[3].

7) تجريم التوظيف السياسي للخلاف الطائفي.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن إيجاز أهم نتائجه بالآتي:

---

(1) البشري، طارق عبد الفتاح سليم، أربع ملاحظات حول الفتنة الطائفية، منبر الحوار(مجلة محكمة)، المجلد: 2، العدد: 5، دار الكوثر، 1987م،، ص61، بتصرف.

(2) سالم، أحمد علي، (الطائفية السياسية في لبنان)، ص 6.

(3) البشري، طارق عبد الفتاح سليم، أربع ملاحظات حول الفتنة الطائفية، منبر الحوار(مجلة محكمة)، المجلد: 2، العدد: 5، دار الكوثر، 1987م،، ص61، بتصرف.

1) الطائفية من أخطر الأمراض التي تصاب بها الأمم عموماً والأمة الإسلامية على وجه الخصوص.
2) ساهمت الدعوات الشعوبية سلباً في ظهور الطائفية بين المسلمين.
3) للطائفية أسباب متنوعة ساهمت سلباً في توسيع هوة الخلاف والفرقة بين أبناء الأمة.
4) الصراع السياسي أحد أسباب نشأة الطائفية، ولا يعني ذلك بحال أن الطائفية ظاهرة سياسية صرفة.
5) عدم وجود نصوص في الدساتير والأنظمة تجرم الطائفية يعتبر من أسباب ظهورها في المجتمعات.
6) الطائفية أثرت سلباً في ظهور دعوات التكفير في المجتمع.
7) أثرت الطائفية سلباً في فساد النظام الاجتماعي والأخلاقي بين المسلمين، وأفرزت مجتمعات متعددة داخل المجتمع الواحد.
8) أفرزت الطائفية أحزاباً سياسية متناحرة، وأنتجت جماعات العنف في المجتمع المسلم.
9) يشكل الطائفيون خطراً على مجتمعاتهم ودولهم لا يقل عن خطر الخصوم الخارجيين.
10) وجود قصور كبير لدى المؤسسات الدينية التحذير من مخاطر الطائفية ساهم في تغولها في المجتمعات.

التوصيات:

في ختام هذا البحث يوصي الباحث بالآتي:

أولاً: ضرورة عمل ميثاق شرف بين الطوائف في كل بلد يقوم على احترام المقدسات والثوابت الدينية والوطنية.

ثانياً: يجب أن تقوم المؤسسات الدينية بدور أكبر في التحذير من الطائفية، وتكريس مبدأ الحفاظ على الثوابت والقيم الدينية.

ثالثاً: ضرورة تضمين الدساتير والأنظمة لمواد تنص على تجريم الطائفية وتسن عقوبات رادعة لها.

رابعاً: يوصي الباحث المؤسسات العلمية بإقامة المؤتمرات الدولية والمحلية حول مخاطر الطائفية وطرق الوقاية منها.

فهرس المراجع والمصادر

1) ابن الأثير، علي بن محمد،(الكامل في التاريخ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ.

2) ابن الجزري، أبو السعادات(النهاية في غريب الأثر)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (العقيدة الأصفهانية)، مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم سعيداي.

4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (درء تعارض العقل والنقل)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ - 1997م.

5) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط2، 1369هـ.

6) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، (منهاج السنة النبوية)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط1، 1406هـ.

7) ابن حماد، محمد بن علي، (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم)، تحقيق: د. التهامي نقرة , د. عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1401هـ.

8) ابن خلدون، عبد الرحمن، (مقدمة ابن خلدون)، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001م.

9) ابن فارس: أبي الحسين أحمد،(معجم مقاييس اللغة)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1420هـ - 1999م.

10) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي(البداية والنهاية)، مكتبة المعارف، بيروت.

11) ابن منظور، محمد بن مكرم،(لسان العرب)، دار صادر، بيروت، ط1.

12) 0205الأثري، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، (الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة))، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ.

13) آذرشب، محمد علي، (الحالة الحضارية والطائفة)، مجلة أمة الإسلام العلمية، شركة دار كاهل للدراسات والطباعة والنشر، العدد(5)، 2010م.

14) البدري، مروة حامد، الطائفية(بناء أم تكوين مجتمعي، دراسة نظرية لمفهوم بناء الطائفية أو اختراعها في الأدبيات الغربية والعربية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عمان، سبتمبر، 2014م.

15) البشري، طارق عبد الفتاح سليم، أربع ملاحظات حول الفتنة الطائفية، منبر الحوار(مجلة محكمة)، المجلد: 2، العدد: 5، دار الكوثر، 1987م.

16) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر،(الفرق بين الفرق)، دار الآفاق، بيروت، ط2، 1977م.

17) بوذياب، عبد الصمد، (النظر المقاصدي وأثره في تدبير الاختلاف العقدي)، تقديم: محمد التمسماني، ومحمد سليم العوا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة.

18) العنزي، سعاد فرحان، التحولات في السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر والاستقرار السياسي في الشرق الأوسط(2001- 2006م)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، معهد بيت الحكمة، جامعة آل البيت، عمان، 2007م.

19) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله، (شرح المقاصد في علم الكلام)، دار المعارف العثمانية، باكستان، ط1، 1401هـ - 1981م.

20) تقي الدين، سليمان،(الطائفية والمذهبية وآثارهما السياسية)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أكتوبر، 2013م.

21) جيدل، عمار عبد السلام،(الطائفية والانتماء إلى الأمة)، المؤتمر العلمي الدولي: فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والجامعة الأردنية، 2011م.

22) الحميري، نشوان بن سعيد، (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

23) خرشي، زين الدين،(آلية إنتاج النظام الطائفي)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عمان، سبتمبر، 2014م.

24) الذهبي، محمد بن عثمان (المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال)، تحقيق: محب الدين الخطيب.

25) الذهبي، محمد بن عثمان(سير أعلام النبلاء) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ.
26) رضا، محمد رشيد، (الخلافة)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.
27) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني،(تاج العروس من جواهر القاموس)، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
28) الزيات: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
29) سالم، أحمد علي، (الطائفية السياسية في لبنان)، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام، إبريل، 2013م.
30) السرحان، جهاد(الصراع الأمريكي – الإيراني حول العراق وأثره على الاستقرار السياسي في الوطن العربي(2001– 2008م))، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، معهد بيت الحكمة، قسم العلوم السياسية، الأردن.
31) سعيد، حيدر،(الطائفية السياسية في العراق إنكاراً واعترافاً)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سبتمبر، 2014م.
32) الشافعي، عبد الملك بن عبد الرحمن، (الفكر التكفيري عند الشيعة – حقيقة أم افتراء–؟)، تقديم: محمد عبد المنعم البري، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، ط1، 1427هـ – 2006م.
33) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (الملل والنحل)، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
34) الشوكاني، محمد بن علي، (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، دار المعرفة، بيروت.
35) الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن الأمير، (سبل السلام)، دار الحديث.
36) عبد الجبار، فالح،(المشكلة الطائفية في الوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أكتوبر، 2013م
37) عبد العال، أحمد علي(التعصب والطائفية(2))، صوت الأمة، الجامعة السلفية، دار التأليف والترجمة، يونيو، 2014م، مجلد 46، العدد 6.

38) عطية، نيبال عز الدين جميل ،(العوامل الداخلية والخارجية المسببة للصراع الطائفي)، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، جامعة قناة السويس، كلية التجارة، المجلد(7)، العدد (2)، 2016م.
39) علال، خالد كبير، (الأزمة العقدية بين الأشاعرة وأهل الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين)، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1426هـ، – 2005م.
40) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، (معجم اللغة العربية المعاصر)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ – 2008م.
41) الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد، (فضائح الباطنية) تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة الكتب الثقافية، الكويت.
42) غليون، برهان(المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات)، المركز العربي للأبحاث والمشكلات السياسية، ط4، 2013م، الربيعي، فاضل، و كوثراني، وجيه، (الطائفية والحرب)، دار الفكر، دمشق، 2011م.
43) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (القاموس المحيط)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
44) القشيري، مسلم بن الحجاج، في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراب العربي، بيروت.
45) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى(الكليات).
46) كيالي، ماجد، (الصراعات الطائفية: مصادرها وأبعادها ومصائرها)، مجلة شئون عربية، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، العدد(153)، 2013م.
47) الكيلاني، عبد الله إبراهيم زيد، (الطائفة وسبل مواجهتها)، إسلامية المعرفة، المجلد(23)، العدد(88)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2017م.
48) محمد عبده، (رسالة التوحيد)، دار الكتاب العربي – 1385هـ – 1966م.
49) محمد، مريم سلطان أحمد، (العصبية عند ابن خلدون والطائفية في لبنان)، شئون اجتماعية، المجلد(3)، العدد(10)، جمعية الاجتماعيين، أغسطس، 1986م.
50) المعافري الحمادي، أبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل، (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1415هـ – 1994م.

51) المقبلي اليمني، صالح بن المهدي بن علي، (العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ وزوائده: الأرواح النوافح)، اعتنى به: وليد عبد الرحمن الربيعي، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، ط1 المحققة، 1430هـ - 2009م.
52) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية)، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي.
53) المندلاوي، أنس(البعد الطائفي لانتهاك الحكومات العراقية)، مجلة البيان، العدد(345).
54) الناصري، أبو العباس، أحمد بن خالد، (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى)، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ - 1997م.